أحكام التعليم في ضوء الفقه الإسلامي

فالح حماده كاظم اهزيم
طالب دكتوراه ، قسم علوم القرآن والحديث ، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية ، جامعة قم ، إيران
hamadafalih67@gmail.com
الدكتور غلامحسين أعرابي
أستاذ مشارك ، قسم علوم القرآن والحديث ، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية ، جامعة قم ، إيران
g.arabi@qom.ac.ir
الدكتور السيد رضا مؤدب
أستاذ ، قسم علوم القرآن والحديث ، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية ، جامعة قم ، إيران
Reza@moaddab.ir

Education Provisions in Light of Islamic Fiqh

Faleh Hamadeh Kazem Ahzim
PhD candidate, Department of Qur'anic and Hadith Sciences, Faculty of Theology and Islamic Studies, Qom University, Iran
Dr. Gholam Hussei A'rabi
Associate Professor, Department of Qur'anic and Hadith Sciences, Faculty of Theology and Islamic Studies, Qom University, Iran
Dr. Reza Moaddab
Professor, Department of Qur'anic and Hadith Sciences, Faculty of Theology and Islamic Studies, Qom University, Iran

الملخص:-

أحكام التعليم وضوابطه في الفقه الإسلامي تُعد من المواضيع المهمة، وقد تناولها العلماء ضمن أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو ضمن آداب المعلم والمتعلم إذ ان وجوب التعليم هو فرض عين إذا تعلّق بما لا يسع المسلم جهله، مثل معرفة التوحيد، شروط الصلاة، الصيام، الطهارة، ونحوها وللمعلم في الإسلام مكانة عظيمة، ولذلك اشترط العلماء فيه شروطًا عدة، منها العلم وأن يكون عدلاً في دينه، مبتعدًا عن الفسوق والمجاهرة بالمعاصي وأن يكون قدوة في أخلاقه وسلوكه، فلا يجوز أن يُعلم الناس وهو سيئ السيرة وأن يكون صبوراً، يُراعي تفاوت الفهم بين الطلبة، ويتحلّى بالرحمة وأن يستخدم أساليب التعليم الحكيمة، كالتدرج، واللين، وضرب الأمثال، وتوجيه النصيحة دون تعنيف، ويهدف البحث إلى بيان أحكام التعليم في الفقه الإسلامي، اما منهج البحث المعتمد فهو المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: الأحكام الشرعية، التعليم والتعلم، الفقه الإسلامي، تأديب الصبيان.

Abstract:-

The provisions and controls of education in Islamic Fiqh are important topics. Scholars have addressed them within the chapters on enjoining good and forbidding evil, or within the etiquette of teachers and students. The obligation of education is an individual obligation if it relates to matters that a Muslim cannot afford to be ignorant of, such as knowledge of monotheism, the conditions of prayer, fasting, purification, and the like. Teachers hold a great position in Islam, and therefore scholars have stipulated several conditions for them, including knowledge, being just in their religion, avoiding immorality and public sins, and being a role model in their morals and behavior. It is not permissible for a teacher to teach people, while he is bad in behavior He should be patient, consider the differences in understanding among students, be compassionate, and use wise teaching methods, such as gradualism, gentleness, using examples, and offering advice without violence. The research aims to clarify the provisions of education in Islamic fiqh. The research methodology adopted is descriptive and analytical.

Keywords: Sharia rulings, teaching and learning, Islamic fiqh, disciplining children.

المقدمة:ـ

لا شك أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له، ولا طريق لعبادة الله تعالى على وجه الحق إلا بالعلم الشرعي، فهو سلم الوصول إلى الله تعالى، والطريق الأمثل إلى جنة الخلد وملك لا يبلى، فالعلم سبيل الوصول إلى رضا الله تعالى، والعلم نبراس يضيء للناس طريقهم، والعلم شرف فوق رؤوس العلماء، به يخشى الخلق ربهم، به يتقونه سبحانه، به يتركون الحرام، ويهجرون المعاصي والذنوب مهما صغرت أو كبرت.

أولاً: أهمية الموضوع

يُعدّ التعليم والتعلّم في الفقه الإسلامي من أعظم المقاصد التي حرص الشرع الحنيف على تأكيدها وترسيخها في حياة المسلمين، إذ إن الفقه ليس مجرد علم نظري، بل هو علم عملي يتصل بجميع جوانب حياة الإنسان الفردية والجماعية، ويترجم معاني الدين ومقاصده إلى واقع معاش. فالفقه الإسلامي يُعنى ببيان الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، وهذه الأحكام لا يمكن أن تُفهم أو تُطبَّق إلا من خلال التعليم والتعلم المنهجي المنضبط. ولهذا كانت العناية بالعلم والفقه في الإسلام ضرورة شرعية، وركيزة أساسية لحفظ الدين وصيانة المجتمع من الانحراف والزلل، ومن هنا تنبع أهمية موضوع التعليم والتعلم في الفقه الإسلامي من عدة اعتبارات:

١. الاعتبار الشرعي: لأن وجوب التعليم في الفقه متصل ارتباطًا مباشرًا بحفظ الدين، الذي هو أول مقاصد الشريعة.

٢. الاعتبار الحضاري: لأن تقدم الأمة وازدهارها مرهون بقدرتها على الفقه في دينها وتنزيله في حياتها المعاصرة.

٣. الاعتبار الاجتماعي: إذ إن الجهل بالأحكام الشرعية يولّد الاضطراب في المعاملات والعبادات والعلاقات الاجتماعية، ويُفقد المجتمع توازنه.

٤. الاعتبار التربوي: لأن التعليم والتعلم يرسخان منهجية التفكير الصحيح وضبط السلوك، ويُنشئان أجيالًا قادرة على حمل رسالة الإسلام.

ومن ثم فإن دراسة وجوب التعليم والتعلم في الفقه الإسلامي ليست مسألة فرعية أو ثانوية، بل هي من صميم قضايا الإصلاح الديني والفكري والاجتماعي التي يحتاجها المسلمون في حاضرهم ومستقبلهم.

ثانيًا: مشكلة البحث

على الرغم من وضوح مكانة العلم والتعليم في نصوص الوحي وأقوال العلماء، إلا أن واقع المسلمين في عصور متأخرة شهد نوعًا من الضعف في الاهتمام بهذا الركن الأساس، سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات. وقد تجلت المشكلة في عدة أبعاد:

١. ضعف الفقه في الدين عند عامة المسلمين: حيث بات كثير من الناس يجهلون أحكام عباداتهم ومعاملاتهم، مما أدى إلى انتشار البدع والممارسات الخاطئة.

٢. انفصال التعليم الديني عن الحياة العملية: ففي بعض البيئات اقتصر التعليم الفقهي على الدراسة النظرية البحتة، دون ربطها بالتطبيق الواقعي ومشكلات العصر.

٣. التحديات الفكرية المعاصرة: مثل العولمة والعلمنة والتيارات الفكرية الحديثة، التي جعلت البعض ينظر إلى الفقه على أنه عائق أمام التقدم، مما أثر في قيمة التعليم الشرعي.

٤. غياب منهجية شاملة في التعليم: إذ لم يُبنَ التعليم الفقهي في بعض المراحل على أسس تربوية متدرجة، ما جعل كثيرًا من المتعلمين يتعاملون معه بصورة تجزيئية أو سطحية.

ثالثًا: أهداف البحث

إن معالجة قضية وجوب التعليم والتعلم في الفقه الإسلامي تهدف إلى تحقيق جملة من المقاصد النظرية والتطبيقية، يمكن إجمالها في الآتي:

١. بيان أن التعليم والتعلم في الفقه الإسلامي واجب شرعي دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وأنه لا يمكن تصور قيام الدين إلا به.

٢. الكشف عن دور العلماء والمؤسسات التعليمية عبر التاريخ الإسلامي في ترسيخ هذا الواجب ونشر الفقه بين الناس.

٣. توضيح أن التعليم الفقهي لا يعوق التقدم، بل هو عنصر أساس في بناء حضارة متوازنة تجمع بين العلم المادي والقيم الروحية.

رابعاً: منهج البحث

أما المنهج المعتمد في كتابة هذا البحث فقد تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في كتابة البحث.

خامساً: مصادر البحث

أما اهم المصادر التي تم الاعتمام عليها فهي تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، وتفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي.

سادساً: خطة البحث

تم تقسيم البحث إلى مبحثين تناولنا في المبحث الأول تعريف بالمفاهيم وفي المبحث الثاني وفي المبحث الثاني أحكام التعليم في كتب الفقه ثم الخاتمة فالمصادر.

المبحث الأول

تعريف بالمفاهيم

المطلب الأول: تعريف التعليم والتعلم

١- تعريف التعليم

التعليم لغة مصدر الفعل علم، يقال: علّمه العلم والصنعة تعليما، أي: جعله يتعلمها، وأعلمه إياه فتعلم، وعلم يعلم علما نقيض جهل [(١)]، والعلم اليقين يقال علم يعلم إذا تيقن، وجاء بمعنى المعرفة أيضا كما جاءت بمعناه ضمن كل واحد معنى الآخر لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقا بالجهل لأن العلم وإن حصل عن كسب فذلك الكسب مسبوق بالجهل، قال تعالى في سورة المائدة الآية ٨٣ ﴿تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾، أي علموا، وقال تعالى في سورة الانعام الآية ٦٢ ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾، أي لا تعرفونهم الله يعرفهم [(٢)].

أمّا التعليم اصطلاحا (هو تنبيه النفس لتصور المعاني، والتعليم تنبه النفس لتصور ذلك، وربما استعمل في معنى الإعلام، لكن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم)[٣] .

ويعرف كذلك بأنه (فرع من التربية يتعلق بطرق التدريس)[٤].

وأن التعليم هو حق لكل انسان بغض النظر عن عمره أو تحصيله الدراسي، فهو حق ممنوح للكافة من غير شروط، وقد نص على هذا الحق المواثيق الدولية والوطنية[٥]، منها الاعلان العالمي لحقوق الانسان ١٩٤٨ والذي نص في المادة (٢٦) منه على:

(لكل شخص الحق في التعلم.....)، وكذلك فقد نصت المادة (٩) من الاتفاقية الاوربية لعام ١٩٥٠ والمادة (٢٢) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية والمادة (١٣) من الاتفاقية الامريكية والمادة (٤١) من الميثاق العربي لحقوق الانسان لعام ٢٠٠٤.

من هذا نلاحظ أهمية مناهج التعليم في اعداد الافراد وكي تجعل منهم مواطنين يعيشون في الحاضر ويستعدون للمستقبل في ذات الوقت، وهكذا فأن مناهج التعليم في الوطن العربي هي أداة حقيقة في تربية المواطن العربي المؤمن بربه ودينه ووطنه والقادر على المشاركة في صناعة المستقبل[٦].

٢- تعريف التعلم

هو سلوك شخصي يقوم به الفرد لكسب المعلومات والخبرات والمعرفة، فيستطيع من خلالها أداء عمل ما، فالمتعلّم هنا هدفه هو التّعلُم وذلك عن طريق البحث عن الأدوات المناسبة الّتي تحقق المعلومات من خلال المدارس، والمعاهد، والكتب، والإنترنت، والتّدريب وغيرها من الأدوات التّعليمية، أي يُمكن القول إنّ التّعلُم له علاقة وطيدة بعملية التّعليم . ويحدث التّعلُم ضمن إطار المدارس والجامعات أو أي مكان تتوفر فيه شروط التّعليم الأساسية، وتقوم عملية التّعلُم على دور المعلم في كيفية توصيل المعلومات والخبرات بشكل صحيح، لهذا إذا فشل المعلم في رسالته فشلت عملية التّعليم، وفشل المتعلم في تعلمه والعكس صحيح، فالاثنان تربطهما علاقة وثيقة ينجح أحدهما بنجاح الآخر كما ظهر حديثاً ما يسمى بالتعليم الإلكتروني أو التّعلُم عن بعد وفيه يكون اعتماد المتعلم على خبراته السابقة في إدارة تعليمه، وعلى الحاسوب في نقل وكسب المعرفة وتنمية المهارة[٧].

المطلب الثاني: تعريف الفقه الإسلامي:

الفقه في اللّغة: الفهم، ويقال فَقِهَ الرجل، وفلان لا يَفْقَه ولا يَنْقَه. والعالم به فقيه، وفاقهته إذا باحثته في العلم[٨]. ويقال: فقه فلان عني ما بيَّنْتُ له.. يفقه فقهًا إذا فهمه[٩].

قال ابن فارس: الفقه، يدل على إدراك الشيء والعلم به تقول: فقهت الحديث أفقهه، وكل علم بشيء فهو فقه[١٠].

الفقه في الاصطلاح: استُعمل لفظ الـ (فقه) كمصطلح للعلم الذي يهتم بدراسة الأحكام الشَّرعية، وعُرِّف بأنه: «العلم بالأحكام الشَّرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية»[١١]. وهو في مقابل التقليد، والأدلة الشَّرعية هي الكتاب والسنة والعقل والإجماع[١٢].

وقال الفيروز آبادي في القاموس المحيط: أسلم، انقاد وصار مسلما[١٣]. وقال الرازي: وأسلم أمره إلى الله أي سلَّم، وأسلم دخل في (السَلَم) وهو الاستسلام و (أسلم) من الإسلام[١٤].

كما يعرف الإسلام في الاصطلاح بأنه: ((الاستسلامُ لله لا لِغَيرِه، بِأن تَكُونَ العبادةُ والطاعةُ لَهُ والذلُّ، وهو حَقيقةُ لا إله إلا الله))[١٥].

المبحث الثاني

أحكام التعلم والتعليم في كتب الفقه

أولاً: الفرق بين التعليم والتعلم

لمعرفة الفرق بين التعليم والتعلم لا بدّ من شرح مفهومي التّعليم والتّعلم، والتّعليم هو العملية التي يقوم بها الفرد من أجل اكتساب المعرفة والعلوم والمبادئ، إذًا التّعليم هو العملية التي تساعد على تيسير التّعلم والاكتساب، والشخص الذي يقوم بعملية التّعليم هو المعلم، ويكون ذلك بطرق مختلفة كالرّواية والتّدريس والقصص وغير ذلك من الطّرق، وطرق التّعليم هذه من الممكن أن تكون بطريق غير نظامي وممكن أن تكون بطريق نظامي[١٦].

في حين أنّ التّعلم هو اكتساب المعارف والمهارات ذاتيًا أو عن طريق شخص أخر، والتّعلم مرتبط بنواحي الحياة بشكل عام، وقد استخدم علماء النّفس مفهوم التّعلم بمعنى

أشمل من كونه تعلّم في المدرسة، وإنّما أطلقوا التعلم على كلّ ما يكتسبه الفرد من خبرات في حياته، والتّعلم يكون في مناحي عديدة؛ كالتّعلم اللفظي والحركي واللغوي والوجداني، ومن هنا يتّصل التّعلم بموضوعات علم النّفس، سواءً كان بطريق مقصود أو غير مقصود، أمّا الفرق بين التعليم والتعلم فهو كما يأتي(١٧):

١- التعلّم هو عبارة عن المهارات والخبرات التي تزيد من قدرة الإنسان على الفهم وتحليل الأمور، في حين التّعليم يتمثل في العملية التي يحصل بها الإنسان على هذه المعارف.

٢- التعلّم هو العملية التي يقوم بها طالب العلم وهو الطّالب، أما التّعليم فهو وظيفة المعلم والمدرِّس وتدريسه للفرد.

٣- التعلّم مقتصر على تلقي الخبرات والمعرفة، أما التّعليم فهو قائم على تغيير السلوك بشكل دائم بحيث يفسح المجال له بتوجيه الإنسان، والعمل على تغيير بنية عقله وتفكيره.

ثانياً: نظريات التعلم والتعليم

بعد الحديث عن الفرق بين التعليم والتعلم يمكن التّطرق إلى بعض نظريات التعلم والتعليم، وهي مجموعة من النظريات التي وضعت في بدايات القرن العشرين، ومن النظريات التي وضعت في هذا المجال ما يأتي(١٨):

١- نظرية التعلم الجشطالتي: وقامت هذه المدرسة على يد ثلاثة علماء هم كوفكا و كوهلر و فرتهيمر، وقد اهتموا بمشاكل المعرفة وسيكولوجيا التّفكير.

٢- نظرية التعلم البنائية :ورائد هذه المدرسة هو جان بياجيه، والتي رفض في مدرسته هذه ما طرحته بقية المدارس عن عملية التعليم والتعلم، فهو يرى أنّ التّعلم لا يمكن أن يكون ويتم، إلّا من طريق ومنبع خارجي.

٣- النّظرية السّلوكية :وهي من أوائل المدارس التي بحثت في طرق التعليم والتعلم، مؤسسها جون واطسون وهي في الولايات المتّحدة الأميركية، لا تهتم هذه المدرسة بما هو تجريدي بحت، وإنما تدرس السلوك من خلال علاقته بعلم النّفس.

ثالثاً: وجوب التعلم

جعل الإسلام للعلم مكانة عالية لا تدانيها مكانة، ويكفي دليلاً على ذلك أن أوّل آية نزلت من القرآن الكريم تأمر بالقراءة، وفي ذلك دعوة إلى العلم والمعرفة. كما أن رسول الله ﷺ جعل طلب العلم فريضةً على كل مسلم، وبين أن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وأنّ العلم هو ميراث الأنبياء ومن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر(١٩).

ولاشك في أنّ العلم هو أفضل ما رغب فيه راغب وأفضل ما طلبه طالب، لهذا فإنّ الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تحدثت عن فضل العلم والعلماء كثيرة، كما أنّ الإسلام في حثه على طلب العلم اهتم بتوضيح أن طلب العلم يستلزم التأدب بآداب سامية والتحلي بأخلاق رفيعة. أنّ العلم رفعة وشرف للإنسان في دنياه وأخراه، فمن كان من أهل العلم رفعه الله في الدارين، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة/ ١١). وفضلُ العالم على الجاهل معلوم ولا شك فيه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر/ ٩)، فحكم الله سبحانه وتعالى بعدم المساواة بينهما(٢٠).

ومن فضل العلم أنّه صفة من صفات الله، سبحانه وتعالى، فهو بكل شيء عليم وعالم الغيب وعلام الغيوب، وعلمه سبحانه وتعالى علم مطلق لا تخفى عليه خافية. وأشهد الله سبحانه نفسه وملائكته وأولي العلم عل وحدانيته، وهذا دليل على علو شأن أولي العلم ورفعة مكانتهم(٢١)، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران/ ١٨).

وقد صح عن النبي ﷺ أنّه قال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"(٢٢)، ولكن يجب أن نعلم أن هناك من العلوم ما يكون طلبه فرض عين على المُكَلَف وهو ما يحتاج إليه في يومه وليلته من أحكام الطهارة والصلاة والبيع والشراء والحلال والحرام، وقد يصبح العلم التخصصي فرضاً على من تخصص فيه لقيام فرض الكفاية به(٢٣).

وأما ما يكون حكمه فرض كفاية فهو ما زاد على العلم الضروري من سائر العلوم

الشرعية والدنيوية، فتخصص العلماء في العلم الشرعي فرض كفاية على الأُمّة، فيجب أن يكون فيها علماء متخصصون في كل العلوم الشرعية ليكونوا مرجعاً للناس في ما أعضل عليهم واحتاجوا إليه(٢٤).

وكذلك سائر العلوم الدنيوية هي فرض على الكفاية، فيجب أن يكون في كل علم علماء متخصصون فيه لحاجة الأُمّة إليهم، كعلم الطب والهندسة وسائر العلوم. وهناك من العلوم ما هو محرم كالسحر والشعوذة وما شابههما من العلوم الضارة، فلا تجوز دراستها ولا تعلمها ولا تعليمها ولا شراء كتبها ولا بيعها.

رابعاً: توفير أجواء التعلم

إن العلم علوٌّ للنفس ورفعة ورقي للإنسان، والعالم له فضل معروف على سائر البشر، قال رسول الله ﷺ: "فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب"(٢٥). ويقول ﷺ: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم. إنّ الله عزّ وجلّ وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت، ليُصلون على مُعلم الناس الخير"(٢٦).

والعلم تركة الأنبياء وهو سبب موصل إلى الجنة، يقول رسول الله ﷺ: "مَن سَلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإنّ العالم ليستغفر له مَن في السماوات ومَن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء وإنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم فمن أخذه بحظ وافر". (٢٧)

وفي العلم تزكية للنفوس وتهذيب للطباع وتشذيب للأخلاق(٢٨)، ولهذا فقد قرن الله سبحانه بين العلم والتزكية في أعمال النبي ﷺ فقال عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران/ ١٦٤). والعلم سبب لخشية الله تعالى، لأنّ العلم يدفع صاحبه إلى خشية الله والخوف منه، قال تعالى: ﴿.. إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر/ ٢٨)،

ولطلب العلم آداب، أوّلها: الإخلاص، لأنّه مطلوب في كل حال وأوّل ما طلب فيه الإخلاص هو العلم لعظم مكانته، ومَن لم يخلص في علمه عوقب بذلك يوم القيامة، فيكون من أول من تُسعر بهم جهنم[٢٩]، قال رسول الله ﷺ: "إنّ الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل يقتل في سبيل الله ورجل كثير المال، فيقول الله تبارك وتعالى للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت في ما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآنار النهار. فيقول الله تبارك وتعالى له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يُقال: فلان قارئ، فقد قيل ذاك. ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسّع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت في ما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق. فيقول الله: بل إنما أردت أن يُقال: فلان جَوَاد، فقَد قيل ذاك. ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله فيقال له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قُتلت. فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يُقال: فلان جريء، فقَد قيل ذاك. ثمّ ضرب رسول الله ﷺ ركبتي فقال: "يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أوّل خلق الله تُسَعّرُ بهم النار يوم القيامة"[٣٠].

خامساً: المعلم وتاديب الصبيان

الاجتهاد في طلب العلم واجب، فلا يُنال العلم بالكسل والتراخي والخمول، بل لابدّ من العزم القوي والدأب في طلبه وتحصيله، وإنما تفاوتت أقدار طلاب العلم بقدر اجتهادهم[٣١]، وكما قيل: لكل مجتهد نصيب. ولابدّ لطالب العلم أن يكون حريصاً على هذا الأمر العظيم الذي طلبه ولا يهمله أو يضيعه، فكثير من طلاب العلم يسعى أوّل الأمر ويحصل شيئاً من العلم، بل ربما الكثير منه، لكن بإهماله قد يضيع منه كل هذا الكنز الذي جمعه. والعلم لا يُنال بيوم وليلة، بل لابدّ من طول الزمن الذي هو ضروري لإدراك غور العلوم والغوص على دقائقه، فقد يستعجل البعض ويريد أن يبلغ درجة العلماء بسرعة الضوء وهذا غير ممكن، لأنّ العلم يُنال بالتدريج وكلما استمر في طلبه وطال زمن دراسته انفتح له من العلوم ما لم يكن يتوقع، ولا يزال يتعلم حتى يفارق الدنيا[٣٢].

سادساً: أنواع التعليم

ومن أصول طلب العلم أن يؤخذ عن أهله، ولابدّ من الدراسة على أيدي العلماء، فلا يستطيع الإنسان، مهما بلغ في ذكائه، أن يستغني عن المعلم الذي يفتح له المغاليق من المسائل.

ومن آداب العلم وجوب احترام العلماء وتوقيرهم ومعرفة حقهم وفضلهم، وينبغي الإشادة بفضلهم والإقرار بعلمهم. وعلى طلاب العلم ترك التحاسد بينهم ويجب عليهم أن يتعاونوا بينهم، وعلى العلماء أن يرفقوا بالمتعلمين ولا يأخذوهم بالشدة، وعلى العالم أن يبث العلم وينشره ويحرص على إيصال العلم النافع إلى الخلق لتستقيم أحوالهم الدينية والدنيوية(٣٣).

كما إنّ للعلم آثاراً بالغة في حياة الشعوب والأشخاص والأُمم، فهو سبب في التقدم والحضارة وبناء الإنسان وبناء الأكوان، فما سادت أمة من الأُمم إلا بالعلم، وهذا أمر غاية في الوضوح ولا يحتاج إلى براهين. ومن بركة العلم أنّه ينفع صاحبه حتى بعد موته بآلاف السنين، ويجري له ثوابه إلى يوم القيامة، فيؤجر العالم في حياته وبعد وفاته، يقول رسول الله ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"(٣٤).

وخلاصة الموضوع أنّ العلم له فضائل ظاهرة وأجره عظيم عند الله لمن أخلص النية في طلبه، وأنّ العلم أساس في الحضارة والتقدم والرقي وأن طالب العلم لابدّ له من التأدب بآداب العلماء العاملين، وهي الإخلاص والاجتهاد في طلبه والاستمرار في الدراسة، وتوقير العلماء واحترام من أفاده بمعلومة وإن صغرت، والإشادة بفضل العلماء من أدب العلم، وعدم جواز الطعن في العلماء ولا انتقاصهم، وأن يحرص على الحوار العلمي الهادف الهادئ الذي يحقق الهدف بلا مشاحنات ولا مناكفات.

النتائج:-

مما سبق يتضح أن موضوع وجوب التعليم والتعلم في الفقه الإسلامي ليس مجرد قضية معرفية، بل هو قضية وجودية للأمة الإسلامية، إذ لا يمكن أن يقوم لها دين ولا حضارة ولا نظام اجتماعي منضبط بغير العلم والفقه. ومن هنا تبرز ضرورة دراسته دراسة أكاديمية

معمقة، تجمع بين التأصيل الشرعي والتحليل الواقعي والاقتراح التطبيقي، ليكون البحث لبنة في مشروع إصلاح شامل يعيد للفقه مكانته، وللعلم حيويته، وللأمة نهضتها المنشودة، ونستنتج مما تقدم عدة أمور أهمها:

١. تعزيز وعي المسلمين بواجب التعليم والتعلم في الفقه، باعتباره شرطًا أساسًا لقيام دينهم ودنياهم وإحياء دور المؤسسات التعليمية الشرعية، وربطها بالواقع المعاصر..

٢. بطلب العلم ينال المسلم ويكسبُ خشية الله ومخافته، ويوصله علمه إلى التواضع للخَلق ولين الجانب لهم وبسط يد الرحمة والمحبة بينهم.

٣. طلب العلم الشرعي دليلٌ على خيريّةِ العبدِ، وأنّ الله قد اصطفاه بأن يسّر له طلب العلم؛ خصوصاً علم الفقه وسائر العلوم الشرعية الأخرى على وجه الخصوص.

٤. لم يترك الإسلام أمراً إلا بيّن حكمه الشرعي وفصّل فيه؛ لذلك فقد تكلّم العلماء في حكم طلب العلم سواء كان المقصود بذلك العلم الشرعي أو غيره من العلوم، ويجدر الإشارة إلى أنّ الحكم الشرعي للعلم يصدق على جميع أنواع الأحكام التكليفية الخمسة التي هي الفرض والسنّة والاستحباب أو الندب والإباحة والكراهية والتحريم.

هوامش البحث

(١) ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب – مصر، ١٩٨٧م، ص٤٣٤

(٢)ينظر: لويس معلوف، المنجد في اللغة، دار العلم، بيروت، ٢٠٠٢م ص ٢٥٦

(٣) وليد عبد الحميد خلف، الحقوق الفكرية في الديانات السماوية والتنظير الوضعي، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٤، ص٢٦٥ -

(٤) الجرجاني، التعريفات، دار الكتاب، بيروت، ٢٠٠٩، ص٣٤

(٥) د. محمد علي حبيب الموسوي، المناهج الدراسية المفهوم ـ الابعاد ـ المعالجات، ط١، دار ومكتبة البصائر، بيروت ـ لبنان، ٢٠١١ ص ٩٩

(٦) المصدر نفسه ص ١٠٠.

(٧) د. محمد علي حبيب الموسوي، المناهج الدراسية المفهوم، ص ١٠٧.
(٨) الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٦ ص٤٥
(٩)- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٣ ص٥٢٢.
(١٠)- ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ج ٤ ص٤٤٢.
(١١)- الشهيد الأول: أبو عبد الله محمد بن مكي العاملي (ت: ٧٨٦هـ)،القواعد والفوائد، تحقيق: عبد الهادي الحكيم، منشورات مكتبة المفيد، قم، ١٩٩٩، ج ١ ص٣٠.
(١٢)- المظفر: محمد رضا (ت: ١٣٨٣هـ)،أصول الفقه، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ٢٠٠٧، ج ١ ص٥.
(١٣) ينظر: الفيروزابادي، القاموس المحيط ج ٤ ص ١٨٣ .
(١٤) الرازي، مختار الصحاح، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٢ ص ١٣١.
(١٥) الموسوي، محسن، دراسات في العقيدة الإسلامية، دار الباقر، بيروت، ٢٠١٣م ص٢٣٩.
(١٦) د.مصطفى نمر، تكنلوجيا التعلم، دار العارف، بيروت، ٢٠١٢، ص٤٣.
(١٧) المصدر نفسه، ص٤٤.
(١٨)حليمة علي، المدخل إلى التربية، دار الهلال، بيروت، ٢٠١٧، ص٩٦.
(١٩)وليد عبد الحميد خلف، الحقوق الفكرية في الديانات السماوية والتنظير الوضعي، دار المحجة، بيروت، ٢٠٠٧، ص٢٦٥
(٢٠) مصطفى زياد، الفكر التربوي مدارسه وإتجاهات تطوره، دار المحجة، بيروت، ص٠٠٥، ص ٢٤.
(٢١) وليد عبد الحميد خلف، الحقوق الفكرية في الديانات السماوية والتنظير الوضعي، المصدر السابق، ص٢٦٧
(٢٢) القمي، عباس بن محمد رضا (ت، ١٣٥٩هـ)، سفينة البحار، الطباعة والنشر المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٨٩هـ:ج٣ ص ٦١
(٢٣) عماد محمد محمد عطية، تطور الفكر التربوي عبر القرون، دار الاميرة، بيروت، ٢٠٠٦ ص٢٠
(٢٤) د. سعيد اسماعيل علي، اصول التربية الإسلامية، دار الاميرة، بيروت، ٢٠٠١ ص ٢٢.
(٢٥) الشحاذي، علي، مستدرك البحار، مؤسسة النشر الإسلامي، لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤١٩ ص١٥١،
(٢٦) المصدر نفسه، ص ١٥٢
(٢٧) النوري، حسين الطبرسي (ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، التحقيق والطباعة والنشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ايران، ١٤١٢هـ، ج٤ ص١٧٨
(٢٨)الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير القران الكريم، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠١١، ج٩، ص٢٣١.
(٢٩) السيد محمد العوادي، تربية الأطفال في ضوء الكتاب والسنة، دار المجتبى، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٦

(٣٠) البخاري، صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧ ص ٢٦٨
(٣١) الطبطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القران الكريم، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠١٨، ج١٣، ص١٦٧.
(٣٢) د. سعيد اسماعيل علي، اصول التربية الإسلامية، المصدر السابق، ص ٢٣
(٣٣) السيد محمد العوادي، تربية الأطفال في ضوء الكتاب والسنة، المصدر السابق، ص١٧
(٣٤) الحر العاملي محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٤٢٤هـ ج٨ ص١٠٣.

قائمة المصادر والمراجع

١. البخاري، صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧

٢. الجرجاني، التعريفات، دار الكتاب، بيروت، ٢٠٠٩

٣. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب - مصر، ١٩٨٧م

٤. الحر العاملي محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٤٢٤هـ

٥. سعيد اسماعيل علي، اصول التربية الإسلامية، دار الاميرة، بيروت، ٢٠٠١.

٦. السيد محمد العوادي، تربية الأطفال في ضوء الكتاب والسنة، دار المجتبى، بيروت، ٢٠٠٣

٧. الشحاذي، علي، مستدرك البحار، مؤسسة النشر الإسلامي، لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤١٩

٨. الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير القرآن الكريم، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠١١.

٩. الطبطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن الكريم، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠١٨.

١٠. عماد محمد محمد عطية، تطور الفكر التربوي عبر القرون، دار الاميرة، بيروت، ٢٠٠٦

١١. القمي، عباس بن محمد رضا (ت، ١٣٥٩هـ)، سفينة البحار، الطباعة والنشر المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٨٩هـ

١٢. لويس معلوف، المنجد في اللغة، دار العلم، بيروت، ٢٠٠٢م

١٣. محمد علي حبيب الموسوي، المناهج الدراسية المفهوم ـ الابعاد ـ المعالجات، ط١، دار ومكتبة البصائر، بيروت ـ لبنان، ٢٠١١

١٤. مصطفى زياد، الفكر التربوي مدارسه وإتجاهات تطوره، دار المحجة، بيروت، ص٠٠٥.

١٥. النوري، حسين الطبرسي (ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، التحقيق والطباعة والنشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ايران، ١٤١٢هـ

١٦. وليد عبد الحميد خلف، الحقوق الفكرية في الديانات السماوية والتنظير الوضعي، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٤ ـ

١٧. وليد عبد الحميد خلف، الحقوق الفكرية في الديانات السماوية والتنظير الوضعي، دار المحجة، بيروت، ٢٠٠٧